فقد عاد عليه بفوائد كثيرة فى مواطن كثيرة . منها هذه المقاومة العنيفة والمجابهة التى يطفح بها شعره ، وقد كان أولى بهذا التشاؤم أن يقوده إلى ما قاد المعرى إليه برغم أن المعرى لم يُبل فى الحياة والأصحاب بمثل ما ابتُلى به المتنبى

هذا الجانب من جوانب المتنبى أعجب به وأعتز به لأنه علامة من علامات الرجولة الممسوخة فى هذا الجيل ، تصون عزتها ولا تنسى أن تبرز بذاتها إزاء كل ذات مهما تناهت عظمتها ، وهل تستطيع أن تجد قصيدة لم يطبعها المتنبى بذاته ؟ بل هل كان المتنبى قادراً على التجرد من ذاته ؟ ألا تراه يتغنى فى كل مقطوعة بذاته ؟ ويحن إلى عايته ويطأ هام الملوك والخلائق وينقض على الزمان براغمه وعلى الحظ بصاوله ، ولعل المتنبى أول شاعر قام يحاول إخضاع الحظ والناس لموازين العقل والذكاء

ولعل أصحابنا النقاد يرون مغامز فى المتنبى ، فيأخذون عليه رياءه ومبالغته وتقلبه ، ويتخذون موقفه مع كافور حجة على غدره وتقلبه . ومثل هذا النقد صدق يشهد به المتنبى وأشعاره ، ولكنى أعتقد أن هذا الرياء الذى تنقم عليه الأخلاق لم يكن إلا رياء فنياً — والرياء الفنى يغمر كل شعرنا وأدبنا ولا يزال ... ولو كان من نوع ذلك الرياء اللين لكان لصاحبه شأن مع رجال الأحكام . وإن شخصيته المتجردة من شعره كانت شخصية عنيفة قاسية لا تهاود فى عزتها . الأمر الذى يدل على أن رياءه هو الرياء الذى تواضع عليه شعراء ذلك العصر وأدباؤه وتقبلوه ولم يستقبحوه

حياة زاخرة بالأهوال والآمال كلما صدع لها الدهر أملاً زادت حزماً وعزماً ، غير مستعظمة إلا نفسها ولا قابلة إلا لخالقها حكما ؛ حياة تود أن تنفصل عن الناس لتتصل بالناس ، وذات لم يترك لها الدهر مجالاً للنظر فى غير ذاتها ، فى شعرها أثر عصرها وبيئتها ، وفى شعرها أثر العصور . ولعمرى إن هذا لهو الأدب الحى الذى تتوق إليه الآداب العالمية اليوم ، أدب ترتسم فيه الرسالة القومية والرسالة الانسانية ...

ما أفقر أدبنا الحاضر على غناه إلى متنبٍّ جديد يفيض قوة وعزيمة على رغم تشاؤمه ! ولعله إذا عاد يغير شيئاً فى رسالته ويجعلها رسالة قوية يفرضها فرضاً بقوة البيان شاعر ذو كبرياء وسلطان ، على شعب مريض أصبح الساثر لا يسير بينه إلا بألف ترجمان

(دير الزور) خليل هنداوى

تاريخ العرب الأدبى

للأستاذ رينولد نيكلسون

الفصل الأول

— ٤ —

مصادر الأخبار :

وإن المصادر الرئيسية الهامة التى تدور حول سبأ وحمير لهى (أولاً) تلك السماة بالنقوش الحميرية ، و (ثانياً) الأحاديث المنقولة فى الغالب عن الأساطير والتى أبقاها لنا الأدب الاسلامى . وبالرغم من أن اللغة العربية الجنوبية قد ثبتت أقدامها فى بعض الأماكن الجنوبية القاصية حتى عهد النبى أو بعده بقليل ، إلا أنها أخذت تضمحل من أمد بعيد بتقوى لغة الشمال الجزلة الرائعة ثم أخذت منذ ذلك الحين تبسط سلطانها دون أن تجد لها منافساً فى رحاب شبه الجزيرة ، ولكن يجب أن نذكر أن اللغة السابقة لم تتلاش نهائياً . وقد حدث فى القرن السادس الميلادى أن أناخ راكب بدوى بعيره وأخذ يتفرس فى دهشة فى بعض نقوش غريبة على حائط صخرى ، وقارن بين هذه النقوش العجيبة التى كاد الدهر أن يطمس معالمها وبين البقايا غير الواضحة تماماً للأراضى المجاورة ، التى كانت تفيض بالذكريات الجميلة . ويسمى المؤلفون المسلمون هذه الخطوط بالمسند ، وإن قليلاً من المسلمين كانوا يستطيعون قراءة حروف هجاء العربية الجنوبية ، بل كانوا ذوى دراية بمبادئ وقواعد علم الأملاء أيضاً ، وهذا يظهر لنا بجلاء من عبارة وردت فى الكتاب الثامن من الاكليل للهمدانى ، ومع أنهم قد استطاعوا تفسير أسماء الأعلام والتعرف إلى مدلول الكلمات ، إلا أنه لم تكن لديهم معلومات ثابتة عن اللغة نفسها ، وسأشرح فيما بعد كيف كشفت هذه النقوش مرة ثانية بفضل بعض الرحالة الأوربيين ، وكيف فسرت وأولت حتى غدوا على بينة منها قادرين على اتخاذها أساساً للبحث التاريخى ، وما هى النتائج التى جنوها من دراستهم لهذه الناحية ؛ ولكن قبل أن نأخذ فى شرح ذلك أرى من الضرورى أن أقول لماذا استعملت لفظ « العربية الجنوبية » أو « السبئية » القليل التداول بدلاً

من « الخطوط الحميرية » و« اللغة الحميرية » : ذلك أن كلمة « حمير » ليست دقيقة إذا أردنا بها لغة هذه النقوش أم النقوش ذاتها ؛ أما من ناحية اللغة فلم تكن خاصة بأهل حمير ، بل كان يتكلمها كل قبائل اليمن المختلفة وأهل سبأ ومعين أيضاً ، وإن اختلفت اللهجات فى كل جهة عن الأخرى . وقد أطلق المسلمون على لغة اليمن القديمة اسم « الحميرية » لسبب بسيط ، ذلك أن الحميريين كانوا أقوى جنس سكن هذه البلاد خلال القرون الأخيرة السابقة لظهور الاسلام . ولو كانت جميع الآثار المكتشفة ترجع إلى عصر السيادة الحميرية لسمعنا عنها فى شيء من اليقين فيمن خلفهم ، ولكن الحقيقة هى أنها ترجع إلى عهد سحيق أيام العصور الأولى التى يرجع بعضها الى القرن الثامن قبل الميلاد ، وربما كان قبل تأسيس الأمبراطورية الحميرية بألف عام ، كما أن لفظ « سبئى » لا يوضح المقصود تماماً لأنه يغلب استعماله لاسم شعب أكثر من أن يكون لقبا سياسياً ، وعلى كل فانى أفضل لفظ « عرب الجنوب » على كل ما عداه .

* * *

ومن أول رواد البحث والتنقيب فى بلاد اليمن العالم كارستن نيبوهر Carsten Niebuhr الذى قام بدافع نفسه ولذته الخاصة بأماطة اللثام عن النقوش . وقد طبع عام ١٧٧٢ م كتابه المسمى Beschreibung Von Arabien وقد رن صدى اكتشافاته فى مجامع أوروبا العلمية ورجح الظن بأن حمير وجدت فى بقايا مدينة شهيرة باسم ظفار [1] وفى ذات مرة لقيه أحد الهولنديين الذين اعتنقوا الدين الاسلامى وأطلعه على نسخة من النقوش جمعت كل الحروف الهجائية التى لم تكن معروفة من قبل ، ولكن — كما يقول — « أصابتنى حمى عنيفة فى تلك الآونة ، وكنت أستمد بين كل لحظة وأخرى للموت أكثر مما أعد نفسى لجمع النقوش القديمة [2] »

وبهذا ضاعت فرصة عظيمة ، ولكن الدهشة عادت ثانية إذ اكتشف البحاثة Ulrich Jasper Seetzen عام ١٨١٠ عدة خطوط فى جوار ظفار ونسخها بيده ، ولكن ما يؤسف له أن السرعة التى لازمت المكتشف جعلت المنسوخ غير متقن الضبط تماما . وقد اشترى أيضاً رسماً أخذه معه وانكب عليه فى أوقات فراغه ناسخاً إياه ، بغير أن جهله للروح الأصلية أوقعه فى عدة أخطاء فى الحروف ، وبذلك لم تكن النتائج التى توصل اليها ذات قيمة [1] تذكر . وإن أول منسوخات قيمة للنقوش العربية الجنوبية وصلت إلى أوربا على أيدى الضباط الانكليز المشتغلين بحراسة الشواطئ الجنوبية والغربية لبلاد العرب وفى سنة ١٨٣٨ طبع الليفتنانت ج . ر . والستد نقوش حصن الغراب ونقب الحجر فى كتابه المسمى Travels in Arabia

وإذا ذاك خطا أميل رودیجر أستاذ اللغات الشرقية بجامعة هل (اعتماداً على مخطوطين فى مكتبة برلين الملكية جمعت فيهما كل حروف الهجاء الحميرية) خطا أول خطوة فى سبيل الكشف الصحيح ، فدحض الفكرة القائلة بأن خط العربية الجنوبية يجرى من اليسار إلى اليمين [2] ، تلك الفكرة التى أقرها « دى ساسى » وصادفت قبولاً عاما ، كما أظهر رودیجر أكثر من ذلك أن آخر كل كلمة كان ينتهى بخط عمودى [3] ، وإن نقوش والستد و Hulton و Cruttenden قد ألقت بصيصاً من النور على صنعاء ، وفسر رموزها Gesenius ورودیجر كل منهما مستقلاً عن الآخر عام ١٨٤١ م

---

(١) يقول ياقوت الحموى فى (معجم البلدان ج ٤ — ص ٨٦) : « ظفار هى صنعاء نفسها ، ولعل هذا كان قديما . وأما ظفار المشهورة اليوم فليست إلا مدينة على ساحل بحر الهند بينها وبين مرباط خمسة فراسخ » ويقول أيضا « وهى مدينة باليمن فى موضعين : أحدهما قرب صنعاء وبها كان مسكن ملوكهم » وتذكر على سبيل الأدب ما رواه ياقوت أيضا من أنه وجد على أركان سور ظفار مكتوبا « لمن ملك ظفار ؟ للحبشة الأحرار . لمن ملك ظفار ؟ لفارس الأخيار . لمن ملك ظفار ؟ لحمير ستجار » أى ستعود إلى اليمن (المترجم)

(٢) Beschreibung von Arabien, p. 94 ولكى يخفف القارىء على مبلغ التقدم العظيم الذى حدث فى سبيل كشف وحل خطوط العربية = الجنوبية حتى سنة ١٨٤١ يمكنه مراجعة ما كتبه Rödiger عن هذا الموضوع Excurs ueber Himjaritische Inschriften فى ترجمته الألمانية لكتاب والستد المسمى : Travels in Arabia ج ٢ ص ٣٦٨ وما يليها

(١) وقد طبعت نقوش چاسپر سيتزن فى المجلد الثانى (ص ٢٨٢ وما يليها ثيبا ١٨١١) فى Fundgruben des orients أما المشار اليه أعلاه فقد فسرها فيما بعد Mordtmann فى Zeitschrift der Deutschen Morgenländ-is-chen Gesellschaft

المجلد ٣١ ص ٨٩ وما يليها

(٢) ولو أن أقدم النقوش تجرى من الشمال إلى اليمين ومن اليمين إلى الشمال على التعاقب

(٣) Notiz ueber die himjaritische Schrift nebst doppeltem Alphabet derselben

(فى) Zeitschrift für die Kunde des Morgen-lanpes, Vol. I (Goltingen, 1837), P. 332 sqq.

وتقاسمت انجلترا وألمانيا فخر الكشف عن هذه النقوش، ولكن لم تكد تمضي بضع سنين حتى كانت فرنسا ثالثتهما، وسرعان ما مضت قُدُما في هذا السبيل وتكلّلت بحوثها بالفوز العظيم ونالت قصب السبق. وفي عام ١٨٤٣ بدأ توماس أرنود T. Arnaud التنقيب والبحث بادئاً من صنعاء، ونجح في الكشف عن بقايا مأرب مدينة سبأ القديمة الشهيرة، ولم يعبأ بتفهقر صحته، بل نسخ ما يقرب من خمسين أو ستين مخطوطاً نشرت بعد ذلك في الجريدة الآسيوية Journal Asiatique وقد عثر في أسيندر على مترجم ماهر[1]، وفي سنة ١٨٧٠ تنكر العالم اليهودي Josph Halévy واخترق «الجوف» شرق صنعاء التي لم يخترقها أوربي قبله منذ سنة ٢٤ ق م حينما قاد Ælius Gallus جيشا رومانيا من نفس الطريق، وقد توصل هذا المكتشف الى نتائج أكثر أهمية بعد أن لاقى كثيراً من المتاعب والأهوال الخطرة، ثم تمكن هاليفي أن يعود بعد أن نسخ قرابة سبعمائة مخطوط[2]، وفي أثناء ربع القرن الأخير جمع E. Glasser و Julus Euling أشياء أكثر أهمية بينما انكباب براتوريوس وهاليفي وميللر وموردتمان وغيرهم على البحث أزاد معلوماتنا عن لغة وتاريخ وديانة عرب الجنوب في العصر السابق للاسلام

ولا يمكن القول بأن هناك دقة ما سواء في أسماء الحكام الحميريين — كما يظهر ذلك مما كتبه المؤرخون المسلمون — أم في الترتيب الذي جرت عليه في وضعها، ولو كان هؤلاء أشخاصاً تاريخيين لكان لهم ذكر فيما بعد، والأرجح أنهم كانوا أسماء غير ذوي أهمية أرجعتهم القصص إلى العصر القديم وخلعت عليهم نعوت العظمة، وعلى من يعتوره الشك في هذا أن يقارن الصحف الحديثة بتلك التي استنبطت من النقوش[3] وقد جمع د. هـ. موللير أسماء ثلاثة وثلاثين ملكا من ملوك سبأ، كما تكرّر كثيراً ورود بعض الأسماء — وهذا دليل على قيام الأسر الحاكمة — وكانت تخلع عليهم الألقاب للأبهة، وقد نجد كثيراً من هذا في ذَمَرْ عَلِي ذِرِّيحْ (الفخم) ويَنْعَمَرْ بَيِّنْ[1] (السامي) وكَرِبْبَعِيلْ وَتَارْ يُهَنْعِمْ (أي العظيم المنّاح) وسمهلي ينوف. أضف إلى هذا أن الملوك كانوا يحملون ألقابا عدة في الرسالات تنبئ عن عصور ثلاثة في تاريخ البلاد العربية كمكرب سبأ أو ملك سبأ وملك سبأ وريدان، وبهذه الطريقة يمكننا أن نحدد على وجه التقريب عصر المباني والنقوش المختلفة، وأن نظهر أنها لا تنتمي إلى العصر المسيحي، ولكنها تسبقه أحياناً بثمانية قرون على الأقل

وإن البون الشاسع الذي يفصل بين قوم سبأ وحمير المحبين للتجارة والسلام وبين العرب الهمج الذين بعث فيهم محمد (صلعم) ليظهر على أشده في خضوع الأولين لآلهتهم التي تعد أساس الآثار الجنوبية العربية كما ذكر ذلك جولد زيهر[2]. فكان الأمير يشيد معبداً للآلهة شكراً لنصرها إياه على أعدائه ويبارك الكاهن أبناءه وممتلكاته؛ أما المحارب الذي فاز بقتل أعدائه أو بالأسلاب أو بنجاته من المنية فيقدم فروض الشكر ويتوسل في ضراعة أن يكون على الدوام متقبلاً في أعطاف رعايتها. وكانوا يعتقدون أن الموتى يعيشون سعداء تحت رحمة إلهية كما كانوا يوقرونهم بل ويعيدونهم أحياناً[3]، وإن العبارة التالية التي ترجمها الكولونيل W. F. Prideaux لهي أوضح مثال على هذا وهي:

«لقد تقدم سعد الله وبنوه بنو مرثد بهذه اللوحة إلى مَقْـهْ هِرَّانْ (سيد الأوّام ذو عِران أَلِي) الذي تفضل بسماع الرجاء المرفوع إليه حينما أهدى اليه بنو مَرْثَدٍ أول ثمار أرض أرْهَقِيم وان مَقْـهْ هِرَّان قد تعهد بحماية سهول ومراعي هذه القبيلة في مساكنهم لقاء ما يقدمونه اليه من الهدايا الكثيرة طول العام، والحق أن أبناء سعد الله سينزلون أرض أرهقم وسيقربون الضحايا في حرمي عشتر وشمس وسيكون هناك قربان آخر في هرّان (وكلا العملين بغية أن يتكفل حرّوت بحماية

(١) Arnaud : Relation d'un voyage à Mareb (Saba) dans l'Arabie méridionale (Journal Asiatique)
في المجلة الآسيوية المجموعة الرابعة ج ٥ (١٨٤٥) ص ٢١١ وما يليها، ص ٣٠٩ وما يليها

(٢) Rapport sur une mission archéologique dans le yémen
في الجريدة الأسيوية المجموعة السادسة ج ١٩ (١٨٧٢) ص ٥ — ٩٨، ١٢٩ — ٢٦٦، ٤٨٩ — ٥٤٧

(٣) D. H. Müllr : Die Burgen und Schlösser Südarabiens S. B. W. A. Vol. 97, p. 931 seq (في)

(١) راجع الرسالة للعدد الماضي ص ١٨٤٧ عمود رقم ١ هامش رقم ٣ (المترجم)

(٢) Goldziher : Muhammedanis-che Studien, Part I, p. 3.

(٣) F. Praetorius : Unsterblichkeitsglaube und Heiligen-verehrung bei den Himyaren
في Z. D. M. G. المجلد ٢٧ ص ٦٤٥ وقد ذكر Hubert Grimme تفصيلا وافيا عن الآراء الدينية وعادات العرب الجنوبيين في :
Weltgeschichte in Karakterbildern. : Mohammed (Munich, 1904) p. 29 sqq.

حقول بني مرثد ، والتفضل بسماع شكواهم) وكذلك تقرب القرابين فى معبد مقه حَرْوَتْ ، ويقتضى ذلك يتهيأ له المحافظة عليهم بناء على السنة التى اتبع نهجها سعد الله والتى شاهدها فى معبد مَقْهْ النعمان ، أما مَقْهْ هِرَّان فقد وقى أرض أرهقم الخصبة من الصقيع والطوارئ أو بعبارة أخرى من البرد القارس والحر اللافح[1] »

وقبل أن أختم هذا البحث القائم على البيان الناقص عن نقوش العربية الجنوبية لابد لى من أناشد فطنة قرائى الذين يعلمون كم يكون من الصعب أن يكتب المرء بوضوح ودقة عن موضوع ليست مصادره الأولى فى متناول يده ، خاصة إذا كانت نتائج البحث السابق تنقض على الدوام بيد العاملين الحديثين فى نفس الميدان

ومن حسن الطالع أن يكون تحت يدنا مرجع دقيق واف لتلك البقايا القليلة الناقصة ؛ فمعلوماتنا عن جغرافية بلاد العرب الجنوبية وعن الآثار والتاريخ القصصى مُستقى جلها من كتابات شخصين من أهل اليمن تفيض كتاباتهما بالحماسة للمجد القديم والفخر به ، وتعتبر أقوالهما — التضاربة بين الحق والخرافة — من وجهة النظر الحاضرة — عملاً له قيمته ، وهذان الكاتبان هما حسن بن أحمد الهمدانى ونشوان بن سعيد الحميرى ، وفضلاً عن كتاب جغرافية العرب القيم المسمى « صفة جزيرة العرب » الذى طبعه د . ه . مولّير ، فقد ترك لنا الهمدانى كتابا عظيما آخر فى تاريخ اليمن وآثارها ، ذلك هو « الاكليل » وينقسم إلى عشرة كتب هذا بيانها[2]

الكتاب الأول : موجز تاريخ أصل الانسان ونشأته

الكتاب الثانى : تاريخ نسب الهميسع بن حمير

الكتاب الثالث : بخصوص صفات قحطان الممتازة

الكتاب الرابع : بخصوص العصر الأول من التاريخ إلى حكم تبع أبى بكر

الكتاب الخامس : بخصوص العصر المتوسط من عهد أسعد تبع الى عهد ذى نواس

الكتاب السادس : بخصوص العهد الأخير حتى ظهور الاسلام

الكتاب السابع : نقد البدع الفاسدة والروايات الكاذبة

الكتاب الثامن : القلاع والمدن والقبور التى شيدها الحميريون وشعر علقمة[1] والمراثى والنقوش وغيرها

الكتاب التاسع : ويتضمن حِكَم الحميريين وأمثالهم فى اللغة الحميرية وأحرف هجاء النقوش

الكتاب العاشر : بخصوص نسب قبيلتى حاشد وبقيل (كبيرتى قبائل همدان)

(يتبع)

ترجمة محمد عبشى

(١) Transactions of the Society of Biblical Archaeology, Vol. 5, p. 409

(٢) نقل هذا الجدول : د . ه مللر فى (Südarabische Studien س ١٠٨ هامش رقم ٢) من الصفحة الأولى من مخطوط الكتاب الثامن من الاكليل الموجود فى المتحف البريطانى ولا يعرف أن هناك نسخة كاملة من هذا الكتاب ، ولكن بعض أجزاء كبيرة منه محفوظة فى المتحف البريطانى وفى مكتبة برلين الملكية

(١) هو علقمة بن ذى جدن الذى اقتبس كثيراً من شعره فى شرح القصيدة الحميرية

لجنة التأليف والترجمة والنشر

صبح الإسلام

الجزء الثالث

للأستاذ

أحمد أمين

يبحث فى عقائد الفرق الدينية فى العصر العباسى الأول من معتزلة وشيعة ومرجئة وخوارج ، كما يبحث فى التاريخ السياسى لكل فرقة وفى أدبها

يقع فى نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير وثمنه عشرون قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة